ايقاف ذلك القتال، الذي لا فائدة منه، واجراء مفاوضات بين البلدين. وفي هذا الصدد، وجّه الرئيس العراقي النداء تلو الآخر الى الشعوب الايرانية، داعياً الى ايقاف اطلاق النار والبدء بالمفاوضات. كما ان العراق تجاوب، كما هو معلوم، مع المساعي الاقليمية والعالمية كافة، التي بذلتها هذه الجهة، او تلك، لانهاء الحرب. الاّ ان كل تلك المساعي لم تثمر، الاّ بعد ان تمكّن الجيش العراقي من تحطيم العمود الفقري للجيش الايراني، الذي فقد القدرة على ادارة الحرب. وعندها، فقط، اضطر الخميني الى الاعلان عن «تجرّع السم»، على حدّ تعبيره، والموافقة على ايقاف القتال.

ان الحرب الايرانية ـ العراقية هي، الآن، وراءنا؛ وليس هنالك ما يبرر الاعتقاد بأن حرباً مثلها ستنشب ثانية في المستقبل المنظور. الاّ ان ذلك كله لا ينبغي ان يحملنا على التقليل من اهمية الانتصار الذي حققه العراق في تلك الحرب، ومن ثمّ «النعمة» التي منّ الله بها على المنطقة عقب ذلك. وللوقوف على مدى ذلك يكفي، وببساطة، الافتراض ـ لا سمح الله ـ ان ايران هي التي انتصرت في الحرب؛ فلو حصل ذلك، لتمّ تفتيت المشرق العربي، او اجزاء كبيرة منه، الى «دول» طائفية مفككة؛ وراح النظام الايـراني المتخلف والمتعصب والمرَضي، القادم الينا من العصور الوسطى، يعيث في الارض ظلاماً وتأخراً، ويعيد المنطقة نحو قرنين الى وراء! فالنظام الايراني، الذي تجرأ على وصف نفسه بأنه «ثورة اسلامية» لم يتورّع، مثلاً، عن التسبب، باسم مفهومه الخاطىء والمشوه للاسلام، في قتل العشرات، بل مئات الآلاف من المسلمين، ابناء المسلمين. واستناداً الى مثل هذه الذهنية، يمكننا ان نتصور اية مآسٍ أخرى كانت ستحل بالمنطقة، لو تمكّن النظام الايراني منها.

ومثل هذه التحديات الوحشية والمتخلفة، بل لنقل مثل هذه الكوارث، تصح الاجابة عنها بالطريقة الصدّامية فقط، وبالاسلوب الذي تمّ فيه ذلك. صحيح ان العراق تكبد خسائر كبيرة، مادياً وبشرياً؛ الاّ انه لم تكن هنالك طريق أخرى.

*
* *

أثار اعلان العراق عن امتلاكه الاسلحة الكيميائية الاستراتيجية عواطف هوجاء من الانتقادات والتجريح والتشكيك، شاركت فيها دوائر عدة، اجنبية وعربية، رسمية وشعبية. واذا كانت هذه الحملة خفّت مؤخراً، فان في ما بان خلالها من مواقف، واعتبارات، وتبريرات، ما يلفت النظر ويلقي الاضواء على الحقبة الجديدة التي نشاهدها.

وأول هذه «المجموعات» من التعليقات هي تلك التي يمكن وصفها بأنها «تافهة»، تصدر عموماً عن حاقدين وانهزاميين، سواء عرباً كانوا ام اجانب. فمن هذه التعليقات، مثلاً، القول ان العراق يقوم بما يقوم به لدعم زعامته الاقليمية. وحقيقة، لا نرى في ذلك اي ضير. بل قد يكون هذا بالذات هو المطلوب. فخلال نصف القرن الأخير فقط، عرفت المنطقة، ونقصد المشرق العربي، اصنافاً عدة من «الزعامة»، من ملوك ورؤساء وقادة احزاب وتجمعات وتنظيمات وميليشيات، الخ، لم يبرز من بينهم، جميعاً، ولو شخص واحد قادر على اعطاء جواب ناجع على التحدي الصهيوني، وبالتالي الامبريالي، الذي القى بظلاله على المنطقة. لقد صدق عبدالناصر بقوله مرة ان هنالك دوراً في المنطقة يبحث عن بطل؛ وهو دور لم يشغله احد حتى الآن، على اي حال. واذا كان العراق ورئيسه هما من قدّر لهما ان يبدآ بلعب هذا الدور، فليكن ذلك.